

Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار السابع - العدد التاسع عشر || تاريخ الإصدار 2026-10-20



قيادة الجنرال هنري بيتان لمعركة فردان وسطوع نجمه العسكري
شباط - كانون الأول 1916

General Henri Pétain's Command of the Battle of Verdun and the Rise of His Military Star

February – December 1916

أ.م. د. أيوب عبد المطلب محمد الحجية

Asst. Prof. Dr. Ayoub Abdul-Muttalib Mohammed Al-Hujiyah

جامعة الحمدانية-العراق-كلية التربية للعلوم الانسانية-قسم التاريخ

أزهار مخيبر مخيبر

Azhar Mukhaybar Mukhaybar

جامعة الحمدانية-العراق-كلية التربية للعلوم الانسانية-قسم التاريخ

DOI: <https://doi.org/10.64355/agjhss71924>

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي (CC BY-NC-SA)

Clarivate | ProQuest

Ulrichsweb™



Crossref

ISSN

INTERNATIONAL
STANDARD
SERIAL
NUMBER
INTERNATIONAL CENTRE



Google Scholar

معرفة
e-Marefa



شبكة المعلومات العربية
Arab Educational Information Network

AskZad



Scilit

INTERNATIONAL
Scientific Indexing

المنظومة

الملخص:

تستند فكرة البحث على دراسة معركة فردان (شباط – كانون الأول 1916)، والدور العسكري الذي أداه الجنرال هنري بيتان فيها، ولا سيما وأنها عُدت أطول، وأعنف معارك الحرب العالمية الأولى التي شهدتها معارك الجبهة الغربية في فرنسا، وشكّلت نقطة تحول استراتيجية في تلك الجبهة بالنسبة لقوات دول الوفاق الودي ضد قوات حلف الوسط بقيادة ألمانيا، إذ أنها جاءت في أعقاب الهزائم التي لحقت بالجيشان الفرنسي والبريطاني إبان المعارك الأولى للحرب أمام الهجوم العسكري الألماني الكاسح، وعليه تقوم فكرة البحث وأهدافه في التعرف على الظروف التي أدت إلى قيام معركة فردان، وظروف تولي الجنرال هنري بيتان بوصفه قائداً عسكرياً محنكاً لمهمة قيادة الجيش الفرنسي في فردان، وتحمل مسؤولية الدفاع عنها، وكيف نجح فيها من قلب موازين معركة، وتحويلها من ساحة استنزاف كارثية إلى رمز للمقاومة الوطنية الفرنسية، وأن البحث درس سلسلة الخطط، والإجراءات العسكرية التي اتخذها الجنرال هنري بيتان في المعركة، وتمكن من تحقيق النصر الناجز فيها، والتي أسهمت في سطوع نجمة العسكري بوصفه بطل معركة فردان.

الكلمات المفتاحية: الجبهة الغربية، فرنسا، معركة فردان، هنري بيتان، النواير العسكرية، الحرب العالمية الأولى.

Abstract:

This research examines the Battle of Verdun (February–December 1916) and the military role played by General Henri Pétain. The battle is regarded as the longest and fiercest engagement on the Western Front in France during World War I, marking a strategic turning point for the Entente Powers against the Central Powers led by Germany. It occurred in the wake of the defeats suffered by French and British forces during the war's opening battles against the sweeping German offensive. Accordingly, the research aims to explore the circumstances that led to the Battle of Verdun, The study examines the circumstances under which the seasoned military commander General Henri Pétain assumed command of the French army at Verdun and shouldered the responsibility for its defense. It analyzes how he succeeded in turning the tide of the battle, transforming it from a site of catastrophic attrition into a symbol of French national resistance. Furthermore, the research explores the series of military plans and measures Pétain implemented—actions that secured a decisive victory and propelled his rise to prominence as the hero of the Battle of Verdun.

Keywords: Western Front, France, Battle of Verdun, Henri Pétain, Military Noria, World War I.

- المقدمة:

عُدت معركة فردان التي اندلعت في عام 1916 إحدى أطول وأبرز المعارك التي شهدتها الجبهة الغربية (الفرنسية) إبان الحرب العالمية الأولى، وذلك لما اتسمت به من شراسة القتال، وكثافة المحاولات الهجومية من قبل القوات الألمانية، وضخامة الخسائر البشرية التي تخللتها، وأهميتها الاستراتيجية في تلك الجبهة، والتي برز فيها اسم الجنرال الفرنسي هنري بيتان، ولمع نجمه العسكري فيها، بوصفه أحد أبرز القادة العسكريين الفرنسيين الذين اضطلعوا بدور مهم في تنظيم دفاعات الجيش الفرنسي عن فردان ضد هجمات القوات الألمانية، وذلك طريق تطبيقه سلسلة من الخطط والإجراءات العسكرية الدفاعية التي تمكن من طريقها من كبح جماح هجمات القوات الألمانية، وتحويل التراجع الفرنسي إلى مثلاً للصمود الدفاعي الساحق ضد قوات الجيش الألماني وصولاً إلى تحقيقه الانتصار الناجز فيها.

- حدود البحث:

الحدود الزمنية: تركز الدراسة على عام 1916، ولا سيما المدة الممتدة من شهر شباط إلى انتقال الجنرال هنري بيتان لقيادة جبهة معركة فردان في مطلع أيار، مع متابعة بقية المعركة لغاية كانون الأول وذلك لدراسة نتائج قيادته، وأما الحدود المكانية فتمثلت بمدينة فردان، ومحيطها في منطقة اللورين الواقعة شمال شرقي فرنسا، بوصفها خطأ دفاعياً منعياً على الطريق الرابط للعاصمة باريس.

- مشكلة البحث:

تحدد إشكالية البحث في التعرف على الأمور الآتية:

1. كيف تولى الجنرال هنري بيتان قيادة القوات الفرنسية؟
2. ما أبرز الإجراءات والخطط العسكرية التي اتخذها الجنرال هنري بيتان لمواجهة هجمات القوات الألمانية في فردان؟
3. ما الدور الذي أداه الجنرال هنري بيتان في تنظيم الإمدادات والاتصالات ونقل القوات في دعم الدفاع الفرنسي عن فردان؟
4. كيف تعامل الجنرال هنري بيتان مع الخسائر البشرية والضغط المدفعي المستمر؟
5. ما طبيعة العلاقة بين قيادته الميدانية للمعركة وما بين القيادة العامة للجيش الفرنسي؟
6. كيف أثرت نتائج معركة فردان عسكرياً وتاريخياً على شخصية الجنرال هنري بيتان؟

- أهمية البحث:

تتمحور أهمية البحث في التعرف على طبيعة الاستعدادات العسكرية المتمثلة بالقيادة والتخطيط الدفاعي والإمدادات التي اتخذها الجنرال هنري بيتان لمعركة فردان ضد مواجهة الهجمات الواسعة الألمانية، وتشخيص أسباب قيادته للجيش الفرنسي الثاني مع بداية إندلاع معركة فردان، والتعرف كيف أثرت سلسلة إجراءاته الدفاعية التي اتخذها ضد هجمات القوات الألمانية في تعيينه القائد العام للجيش الفرنسي بمعركة فردان.

- أهداف البحث:

تحدد أهداف البحث في التعرف على ظروف قيام معركة فردان، وتشخيص أهداف الهجوم الألماني وخطته العسكرية على فردان، وتوضيح ظروف تعيين الجنرال هنري بيتان قائداً للقوات الفرنسية في فردان، ودراسة قراراته المتعلقة بتنظيم خطوط دفاعات قوات الجيش الفرنسي، وعملية توزيعها وضمان استمرار الإمدادات إليها، والتعرف على مدى فاعلية إجراءات الجنرال هنري بيتان الدفاعية عن فردان في مواجهة الاستراتيجية الألمانية القائمة على الاستنزاف، وبيان النتائج التي تمخضت عن المعركة في مكانة الجنرال هنري بيتان العسكرية والتاريخية.

- فرضية البحث:

تستند فرضية البحث في التعرف على القيادة الدفاعية للجنرال هنري بيتان لمعركة فردان، وكيف أسهمت قراراته وخطته العسكرية في تنظيم دفاعات قوات الجيش الفرنسي، والحد من الارتباك الذي وقعت فيه مع بداية الهجوم الألماني على فردان، وتشخيص فرضية الأهمية اللوجستية التي طبقها الجنرال هنري بيتان طيلة قيادته لمعركة فردان والتي تمثلت في تنظيم الإمدادات، ونقل الجنود والذخائر عبر الخنادق، والطرق الضيقة والتي شكلت عنصراً رئيساً في استمرار المقاومة الفرنسية، وكذلك فرضية المحافظة على القوة البشرية للجنود الفرنسيين التي تمكن الجنرال هنري بيتان عن طريقها من المحافظة على أرواح آلاف الجنود الفرنسيين في المعركة، ولاسيما بعد تطبيقه نظام تدوير الوحدات العسكرية (النواير العسكرية)، والتي أثرت في تخفيف آثار الاستنزاف، والمحافظة على جاهزية القوات ومعنوياتها.

- منهج البحث:

يقوم منهج البحث على منهج البحث العلمي التاريخي القائم على الوصف والتحليل والاستقراء الخاصة بعملية تتبع الأحداث منذ اندلاع الهجوم الألماني على فردان في شباط 1916، مروراً بتولي الجنرال هنري بيتان قيادة الجيش الفرنسي في معركة فردان، مع لوصف مسرح العمليات العسكرية، والتحصينات، وحركة القوات، ووسائل النقل والإمداد، وتحليل قرارات الجنرال هنري بيتان العسكرية، وتفسير أسباب الصمود الفرنسي وتشخيصه لمواطن القوة والقصور في الدفاعات الفرنسية.

- هيكلية البحث:

أنقسم البحث إلى مقدمة وخاتمة، فضلاً عن خمسة محاور رئيسة غطت طبيعة أفكار موضوع الدراسة بشكل مركز، إذ جاء المحور الأول بعنوان: (ظروف قيام معركة فردان)، والمحور الثاني بعنوان: (الجنرال هنري بيتان والاستعدادات العسكرية لمعركة فردان)، والمحور الثالث بعنوان: (قيادة الجنرال هنري بيتان للجيش الفرنسي الثاني مع بداية إندلاع معركة فردان)، والمحور الرابع بعنوان: (تولي الجنرال هنري بيتان

قيادة الجيوش الفرنسية بمعركة فردان)، وأما المحور الخامس فإنه جاء بعنوان: (إنجازه الجنرال هنري بيتان للنصر الحاسم على القوات الألمانية في معركة فردان كانون الأول/ديسمبر 1916).

المحور الأول: ظروف قيام معركة فردان

أخذ رئيس هيئة الأركان العسكرية العامة للجيش الألماني الجنرال إريك فون فالكنهاين Erich Von Falkenhayn منذ بداية شهر شباط/فبراير 1916، عملية التخطيط لفتح جبهة مدينة فردان Verdun التابعة لمنطقة لورين Lauren في شمال شرقي فرنسا، بهدف القضاء على أهم التحصينات العسكرية الفرنسية التي تواجدت فيها من جهة، وإن عملية سقوطها، يعني فتح الطريق أمام قوات الجيش الألماني باتجاه العاصمة باريس وبالتالي احتلالها من جهة أخرى (World War I Documents, 1916, P.89)، وعليه أدرك الجنرال إريك فون فالكنهاين أن هيئة الأركان العسكرية العامة للجيش الفرنسي ستضطر إلى استخدام آخر جندي فرنسي للدفاع عن فردان، وعليه ستستنزف القوات الفرنسية فيها بخسائر دامية، لذلك شهدت تلك المدينة أطول وأشرس معركة خلال الحرب العالمية الأولى برمتها، إذ اشترك فيها (مليون جندي)، من كلا الطرفين، والذين دخلوا في معارك طاحنة (بركات، 2007، ص190).

كانت ليلة 20 – 21 شباط/فبراير 1916، هادئة في منطقة فردان، حيث استمر تساقط الثلوج الخفيفة على المواقع الفرنسية، وفي تمام الساعة 7:30 فجرًا من يوم 21 شباط/فبراير، انطلقت أول قنبلة من مدفع ألماني ثقيل، انفجرت في ساحة كاتدرائية فردان، مؤذنة ببدء الهجوم (بركات، 2007، ص192)، ثم أعقب ذلك سيل من القصف المدفعي الألماني المستمر، والذي زادت شدته على امتداد شمال فردان بأكملها والمحاذية للضفة اليمنى لنهر الميز، صاحبة إطلاق الألمان للغازات السامة، وتوجيه غطاء ناري كثيف من بنادق قوات فرق المشاة الألمانية، ضد تحصينات، وخنادق القوات الفرنسية، ولم تترك هجمات القوات الألمانية تلك على فردان، أية مجال للشك في أذهان القادة العسكريين والجنود الفرنسيين من أن الهجوم الألماني ضد القوات الفرنسية في فردان قد بدأ، لتبدأ معها الحملة العسكرية التي خطط لها الجنرال إريك فون فالكنهاين، والذي استهدف من هجوم فردان استنزاف القوات الفرنسية، وإيقاع أكبر الخسائر في الأرواح والمعدات بها، وبالتالي فتح طريق نحو التقدم للعاصمة باريس (Ryan, 1969, P.72).

فاجأ الهجوم الألماني على فردان، القيادة العسكرية العليا للجيش الفرنسي، ممثلة بالجنرال جوزيف جوفر Josef Joffe، واتضح له بعد أن استشار كبار القادة العسكريين الفرنسيين، وعلى رأسهم الجنرال هنري بيتان Henri Pétain⁽¹⁾، والجنرال روبير نيفيل Robert Neville، والجنرال فرديناند فوش Ferdinand Foch، من أن هدف الاستراتيجية الأساس للهجوم الألماني على فردان، يقضي بالاستيلاء عليها، ومن ثم الزحف نحو العاصمة باريس، واسقاطها، وأوضح الجنرال إريك فون فالكنهاين قائلاً: "إنه أمر بالهجوم على فردان لتحقيق أسباب استراتيجية قائمة على إرهاق الجيش الفرنسي بخسائر فادحة في فردان كمرحلة أولى، ثم التوجه نحو الزحف على باريس وفرض السيطرة عليها" (Blond, 1966, P.79) وأكد أن كل حسابات الجيش الألماني كانت مبنية على أساس أن الجيش الفرنسي لا يستطيع أن يتحمل صراع عسكري طويل الأمد، ومتواصل على قواته في فردان (العسلي، 1983، ص101).

اختار الجنرال إريك فون فالكنهاين توجيه الهجوم الألماني على فردان، وذلك لأنها شكلت بالنسبة للشعب والجيش الفرنسي، رمز الصمود على خط معركة المارن الأولى في معارك عام 1914، وبالتالي فإن سقوط فردان سيؤثر تأثيراً معنوياً عميقاً في نفوس الجيش الفرنسي بشكل خاص والشعب الفرنسي بشكل عام، كما إن فردان تُعد إحدى المفاتيح الرئيسة في خط الدفاع الفرنسي، كما أن فيها سكة حديد، تمثل شريان إمداد للقوات الفرنسية، وإن تمكن القوات الألمانية من السيطرة على سكة حديد فردان، هذا يعني حرمان الجيش الفرنسي من شريان إمداد مهم للغاية، ويتم تحقيق النصر الألماني في فردان عن طريق توريث القيادة العامة العسكرية الفرنسية، بضرورة الاستمات في الدفاع عن فردان مهما كلفها من خسائر بشرية، ومادية فادحة، وهو ما سيتسبب في نهاية المطاف من إرهاق الجيش الفرنسي، وكسر لحالة الجمود في معارك الجبهة الغربية (الفرنسية)،

¹ () هنري بيتان: قائد عسكري ورجل دولة فرنسي، ولد عام 1856 في مدينة بادو كاليه، دخل كلية (سان سير San Sir) الفرنسية لإعداد الضباط عام 1876، رقى إلى رتبة عقيد عام 1912، لمع نجمه العسكري خلال معركة فردان عام 1916، تولى قيادة الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، ووصولاً إلى تقلده رتبة المارشال على أثر انتصار الحلفاء في الحرب، ترأس في 17 حزيران/يوليو 1940، حكومة فيشي (1940-1944)، انتهج سياسة التعاون مع ألمانيا النازية، حكم عليه بالإعدام في عام 1945، ثم خفف الحكم عليه إلى السجن المؤبد إلى أن توفي عام 1951. ينظر: آلان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث (1789-1945)، ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1992)، ج2، ص178-179.

منذ انتهاء معركة أرتوا الثالثة Artois III، في تشرين الثاني/نوفمبر 1915، من الظروف الرئيسة الأخرى في قيام معركة فردان (معدى، 2011، ص117).

المحور الثاني: الجنرال هنري بيتان والاستعدادات العسكرية لمعركة فردان

بدأت معركة فردان في 21 فبراير/شباط 1916، واستمرت كواحدة من أطول وأعنف معارك الحرب العالمية الأولى لغاية 18 كانون الأول/ديسمبر من العام ذاته، بقصف مدفعي تمهيدي مكثف من القوات الألمانية ضد التحصينات والمواقع الدفاعية للقوات الفرنسية في فردان، عندها قام قائد الجيش الفرنسي الجنرال جوزيف جوفر برفقة قائد الجيش الفرنسي الرابع الجنرال إدوارد دي كاستيلنو Edward de Castelnau، بزيارة موقع الهجوم في فردان (Ferro, 1987, P.668)، وبعدها كلف قائد الجيش الفرنسي الجنرال جوزيف جوفر، الجنرال هنري بيتان، بتنظيم خطط الدفاع، والقيام بالاستعدادات اللازمة التي تمكن القوات الفرنسية من الصمود في مواجهة ضربات المدفعية الألمانية، وبهدوء ودقة عالية في خطط التنظيم والاستعدادات الدفاعية، والتي اشتهر بها الجنرال هنري بيتان، أوصى بسرعة إدامة وصول الإمدادات، والتعزيزات إلى القوات الفرنسية المدافعة عن فردان، مع قيامه بزيادة فعاليات الدفاع عن مدينة فردان، وذلك عن طريق نشره بطاريات إضافية من سلاح المدفعية، والتي أخذت من جانبها ترد بنيرانها على مواقع الهجوم الألماني ضد فردان (Ferro, 1987, P.668)، ثم وجه الجنرال هنري بيتان بعد أن تمكن تنظيم خطوط الدفاع عن فردان، للجيش الفرنسي، وأمره بقيام قوات المشاة المكلفة بالدفاع عن فردان بشن سلسلة من الهجمات المضادة، أعاق عن طريقها تقدم القوات الألمانية إلى داخل فردان (معدى، 2011، ص117).

نظم الجنرال هنري بيتان الدفاع عن مدينة فردان عن طريق تنفيذه تكتيك إنشاء خطوط للمقاومة، والهجوم المضاد، أي تحويل قوات الدفاع ذاتها إلى قوات مهاجمة تعمل على ضرب تقدم القوات الألمانية المتقدمة، ثم تعاود بالرجوع إلى خطوط دفاعها، في خطوة منه إلحاق أكبر قدر ممكن من الاستنزاف في صفوف القوات الألمانية في أثناء هجومها على فردان، مع إعطاء أوامره للقوات الفرنسية بالحفاظ على مواقع دفاعاتها بأي ثمن (Teague, 2015, P.20)، وتولى الجنرال هنري بيتان السيطرة على سلاح المدفعية، وقام بدمج سلاح المدفعية بالكامل من الضفة اليسرى لمنطقة فردان، وصولاً إلى الضفة اليمنى منها، وأمر قادة مدفعيته، بإعداد خطط مضادة، لإسكات مدافع القوات الألمانية، والحفاظ على إطلاق نيران المدافع الفرنسية بصورة مستمرة، لإظهار القوة لقوات المشاة الفرنسية، ورفع معنوياتها في الدفاع عن فردان من خلال أن سلاح المدفعية الفرنسية يقوم بواجباته الحاسمة بالرد على مصادر نيران مدفعية القوات الألمانية، إلى درجة أن الجنرال هنري بيتان تولى بنفسه شخصياً الإشراف على جميع بطاريات سلاح المدفعية الفرنسية المخصصة لجهة فردان، والتي بلغ عددها (500 مدفع)، وأصدر أوامره لقاده تلك البطاريات بضرورة حشد نيران مدافعهم لضرب تجمعات الهجوم الألماني، وبالتالي عمليه تفكيكها، والحاق الهزيمة بها، وتخفيف الضغط على قوات المشاة الفرنسية المدافعة عن فردان، وفي ضوء تلك الإجراءات الدفاعية التي قام بها الجنرال هنري بيتان، تمكن من صد هجمات القوات الألمانية المتتالية، لا بل ومهدت في مرحلة لاحقة بتحول القوات الفرنسية من موقع الدفاع إلى موقع مهاجمة القوات الألمانية عند فردان (Ferro, 1987, P.668).

المحور الثالث: قيادة الجنرال هنري بيتان للجيش الفرنسي الثاني مع بداية اندلاع معركة فردان

تولى الجنرال هنري في 26 شباط/فبراير 1916، قيادة الجيش الفرنسي الثاني في مرحلة حرجة تزامنت مع اندلاع معركة فردان، واعتمد على طريق بلغ عرضه (20 قدماً)، لنقل قوات الجيش الفرنسي الثاني من مختلف جبهات القتال إلى جبهات فردان، وتمكن خلال اسبوع واحد من نقل أكثر من (190 ألف جندي فرنسي)، و (25 ألف طن) من الذخيرة، والمواد الغذائية إلى جبهة فردان (Ryan, 1969, P.82)، كانت دفاعات فردان مكونة من سلسلة من الحصون الصغيرة، والتي أحاطت بمدينة فردان من جميع جهاتها، تم تليها من الخارج حلقة من القلاع في قوس يبلغ طوله حوالي (30 كم2)، ثم تلي ذلك القلاع، خطوط دفاع الخنادق الأمامية، والتي حمتها نطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة، ويمر نهر الميز من الشمال إلى الجنوب قاسماً الدفاعات الفرنسية في فردان إلى قسمين شبه متساويين، وعندما بدأ الهجوم الألماني في 21 شباط/فبراير 1916، ضد الدفاعات الواقعة الشرق نهر الميز، تمكن الألمان من احتلال مجموعه كبيرة من الدفاعات الأمامية للجيش الفرنسي، وتحديداً في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة فردان، ثم قاموا في يوم 25 شباط/فبراير 1916، بهجوم شديد على الدفاعات الفرنسية، وذلك لاستغلال نجاحهم الأول، إلا أن قوات الجيش الفرنسي الثاني بقيادة الجنرال هنري بيتان تمكنت من صددهم في يوم 26 شباط/فبراير، بفعل كثافة نيران سلاح المدفعية، وذلك بإيعاز مباشر الجنرال هنري بيتان، وهو ما أوقف زحف القوات الألمانية في عمق فردان (Ferro, 1987, P.668).

المحور الرابع: تولي الجنرال هنري بيتان قيادة الجيوش الفرنسية بمعركة فردان

إن النتيجة الطبيعية لتلك الإنجازات العسكرية التي حققها الجنرال هنري بيتان على مستوى خطط الدفاع، أو قيادته للجيش الفرنسي الثاني في الدفاع عن فردان، أصدرت القيادة العسكرية العامة الفرنسية، أمرها بتولي الجنرال هنري بيتان القيادة العامة للقوات الفرنسية في معركة فردان، ففي اليوم الذي تولى فيه قيادة معركة فردان، والذي صادف يوم سقوط حصن دومون Fort Douaumont، في 26 شباط/فبراير 1916، في أيدي القوات الألمانية، والذي عُد أضخم التحصينات الدفاعية الفرنسية في معركة فردان، وشكل الاستيلاء عليه من قبل الألمان صدمة كبيرة بالنسبة للقيادة العسكرية الفرنسية، حيث وفر تحصيناً ومراقبة منيعاً لعموم منطقة فردان، عندها قام الجنرال هنري بيتان بتنظيم سلاح المدفعية، ونشرها

على الضفة اليسرى لنهر الميز، لدعم خطوط دفاعات القوات الفرنسية على الضفة اليمنى من فردان، وذلك لتعويض خسارة حصن دومون (Blonde, 1961, PP.114-115).

كانت قيادة الجنرال هنري بيتان لمعركة فردان فعالة بشكل كبير منذ لحظة توليه، إذ اشتدت مقاومة القوات الفرنسية، وتم إيقاف الهجمات الألمانية المتكررة على فردان، رداً على ذلك شن الألمان هجوماً كبيراً على الضفة اليسرى لنهر الميز، لكن القوات الفرنسية تمكنت أيضاً بفعل القيادة الحازمة للجنرال هنري بيتان من إيقاف التقدم الألماني عند مرتفعات مورت-هوم Mort-Homme، وهو حصن استراتيجي واقع غرب مدينة فردان مع إلحاق خسائر فادحة في صفوف قوات كلا الطرفين، عندها تحولت معركة فردان إلى حمام دم للقوات الفرنسية المدافعة، وللقوات الألمانية المهاجمة على حد سواء (Teague, 2015, P.19).

ابتكر الجنرال هنري بيتان بكل ما عرف عنه من جهد، وحس فائق بالتخطيط العسكري، للحؤول دون سقوط فردان، ولتقليل الخسائر البشرية في صفوف القوات الفرنسية، ولإثباته قوة قيادته، للقيادة العسكرية العامة الألمانية، ما أسماه بـ "نظام النواير العسكرية The Military Waterwheel System"، والذي حقق عن طريقه استبدال الفرق العسكرية الفرنسية، والتي تواجدت في خط الدفاع الأول والثاني في فردان، والتي تهالكت بفعل الضربات الألمانية، بفرق عسكرية فرنسية جديدة، حازت مكانه، وحدد الجنرال هنري بيتان أن أي فرقة عسكرية فرنسية تفقد (50% من فعاليتها)، على نطاق الجنود والمعدات، يتم سحبها من خطوط الدفاع التي تمركزت فيها، وإرسالها إلى الخلف للراحة، وإلحاقها بفرقة عسكرية جديدة، وبسبب تطبيق الجنرال هنري بيتان نظام النواير العسكرية، قاتلت أكثر من (60 فرقة عسكرية فرنسية) في معركة فردان لوحدها، وهو ما عكس حقيقة أن نظام النواير العسكرية الذي انتهجه الجنرال هنري بيتان، تمكن عن طريقه من إرسال فرق عسكرية إلى جميع أنحاء جبهة فردان، وهو ما أدى إلى استنزاف هائل في القوات الألمانية المهاجمة، وإلحاق خسائر كبيرة بها، ناهيك عن أن ذلك النظام أفقد قيادة الجيش الألماني، والجنود الألمان المعنويات العالية من جدوى مواصلة معركة فردان (Pétain, 1930, P.115)، وعلى الرغم من ذلك شنت القوات الألمانية هجوماً آخر استهدف الجهة الغربية لمدينة فردان، واستغرق الهجوم منذ يوم 17 آذار/مارس ولغاية 19 نيسان/أبريل 1916، وكان نصيبه الفشل وحاول الألمان طوال ثلاثة أشهر التالية، وتحديدًا لغاية 11 تموز/يوليو من العام ذاته، اقتحام دفاعات القوات الفرنسية في فردان، ولم تتمكن القوات الألمانية خلالها سوى التقدم مسافة (4 - 5 كم) في القطاع الشمالي من الدفاعات الفرنسية، ونتيجة لفشل هجوم الجيش الألماني في معركة فردان، قام القيصر فيلهلم الثاني، وبصفته القائد الأعلى للقوات الألمانية في 19 آب/أغسطس 1916، بإعفاء رئيس الأركان العامة الألمانية الجنرال إريك فون فالكنهاين من منصبه، وتعيين المارشال بول فون هيندنبورغ، بدلاً عنه (Teague, 2015, P.20).

المحور الخامس: إنجاز الجنرال هنري بيتان للنصر الحاسم على القوات الألمانية في معركة فردان كانون الأول/ديسمبر 1916

على أثر إرهاب قوات الجيش الألماني نتيجة لهجماته الفاشلة، والمتكررة على فردان منذ شباط/فبراير ولغاية تموز/يوليو 1916، بدأت القوات الفرنسية المتمركزة في فردان بقيادة الجنرال هنري بيتان، استغلال حالة الإرهاق، والخسائر الكبيرة التي لحقت بالقوات الألمانية، عندها أعطى الجنرال هنري بيتان أوامره للقوات الفرنسية التي تحصنت في خنادق فردان، بشن هجوم خاطف وسريع على القوات الألمانية، وذلك بغية استعادة المواقع، والتحصينات التي سبق، وأن احتلتها القوات الألمانية مع بداية إنطلاق معركة فردان (العسلي، 1983، ص 104).

الجدير بالذكر من أن هجوم القوات الفرنسية في فردان بقيادة الجنرال هنري بيتان، تزامنت مع هجوم الجيش الفرنسي السابع، الذي قادّه القائد العام للجيش الفرنسي الجنرال جوزيف جوفر على جبهة نهر السوم، وذلك بهدف تخفيف الضغط على جبهة فردان من جهة، واستغلال حالة تركيز الهجوم الألماني على فردان، بشن هجوم مفاجئ على القوات الألمانية التي تواجدت في جبهة نهر السوم، وبالتالي إجبارها على الانسحاب إلى داخل الحدود الألمانية من جهة أخرى، إلا أن الذي حصل هو فشل هجوم الجيش الفرنسي السابع على جبهة نهر السوم فشلاً ذريعاً، وذلك بسبب شدة تحصينات، وخنادق القوات الألمانية التي انتشرت فيها، وهو ما سبب في قتل، وجرح آلاف الجنود الفرنسيين (B. Bruce, 2008, P.53).

عندها أصدرت الحكومة الفرنسية -والتي كانت من صلاحياتها تعيين وعزل قادة الجيش-، أمراً بإعفاء الجنرال جوزيف جوفر من منصبه كقائد للجيش الفرنسي، وذلك بسبب فشله في قيادة هجوم السوم، وضعف قدراته، وخطئه العسكرية في الدفاع عن فردان، وهو ما تسبب بإلحاق خسائر كبيرة بالأرواح والمعدات في صفوف قوات الجيش الفرنسي، وبدا أن الجنرال هنري بيتان هو الخليفة الطبيعي للجنرال جوزيف جوفر لتولي قيادة الجيش الفرنسي (B. Bruce, 2008, P.53)، لاسيما بعد سطوع نجمه العسكري في معركة فردان، إذ عدّه الجنود الفرنسيون كأعظم قائد فرنسي في الحرب العالمية الأولى على مستوى القيادة، والتخطيط العسكري، ولقبوه بـ "بطل فردان The Hero of Verdun"، إلا أن الحكومة الفرنسية لم تشارك رغبة الجنود الفرنسيين للصيت العسكري الرفيع الذي حازه الجنرال هنري بيتان في نفوسهم، ولدى أقرانه من الضباط على حد سواء، وعلمت على إيقاف تعيين الجنرال هنري بيتان لتولي منصب قيادة الجيش الفرنسي، لاسيما وأن الأخير، كما عبر هو عن نفسه قائلاً: "أنا احتقر السياسيين"، إذ لم يبذل أية محاولة لإخفاء أفكاره المضادة للحكومة الفرنسية، وأدى سلوكه المتعالي في أخذ القرارات العسكرية دون الرجوع في بعض الأحيان لرأي قيادة الجيش، وهيئة الأركان العسكرية العامة، إلى عزله سياسياً، لذلك اختارت الحكومة الفرنسية الجنرال روبرت نيفيل، والذي تميز بعلاقاته الودية مع أعضاء الجمعية العامة الفرنسية (مجلس النواب)، وبما امتلکه من صداقات قوية بعدد من شخصيات الحكومة الفرنسية، وعلى رأسهم رئيس الجمهورية ريمون بوانكاريه Raymond Poincaré (1913 - 1920)، الذي رأى فيه خياراً أكثر

قبولاً، لتولي منصب القائد العام للجيش الفرنسي على الجبهة الغربية، أعلن الجنرال روبرت نيفيل، منذ توليه قيادة الجيش الفرنسي، أن لديه صيغة، للنصر على الجيش الألماني من شأنها كسر حالة الجمود في الجبهة الغربية، ودفع القوات الألمانية إلى منطقة الحدود الفرنسية - الألمانية (B. Bruce, 2008, P.53).

أعطى الجنرال روبرت نيفيل بعد توليه قيادة الجيش الفرنسي على الجبهة الغربية، أوامره للجنرال هنري بيتان، تولي قيادة مجموعة الجيوش الفرنسية الوسطى، والتي تمركزت في الجبهة الممتدة من منطقة فردان وصولاً إلى منطقة الأردين، لاسيما بعد الإنجازات العسكرية الدفاعية التي برع فيها في حماية فردان من السقوط من جهة، وبسبب شيوع مجده العسكري، بوصفه بطلاً عسكرياً في أعين الجنود الجيش الفرنسي من جهة أخرى، وعلى الرغم من موافقة الجنرال روبرت نيفيل، على تكتيك الجنرال هنري بيتان، والذي أسماه "القصف المدفعي الزاحف" (Teague, 2015, P.20)، والذي تمكنت عن طريقه القوات الفرنسية في فردان من استعادة العديد الحصون، والتحصينات العسكرية التي فقدتها من اندلاع معركة فردان، إلا أن إصرار الجنرال روبرت نيفيل في ضوء الخطط العسكرية التي وضعها في شهر تشرين الأول/أكتوبر 1916، والقائمة على شن الجيش الفرنسي هجمات متعددة بمختلف ساحات الجبهة الغربية، والتي أسفرت عن إلحاق سلسلة من الهزائم العسكرية بالجيش الفرنسي، وتسببت في قتل وجرح مئات الآلاف، ناهيك عن الخسائر الفادحة في المعدات، عندها تدخل الجنرال هنري بيتان بوصفه قائداً للقوات الفرنسية في فردان، ومجموعة الجيوش الفرنسية الوسطى في الجبهة الغربية، طالباً من الجنرال روبرت نيفيل، وقف هجمات الجيش الفرنسي، والاعتماد على تكتيك أسماه بـ "الدفاع الصلب"، المقرون بقوة النيران الفردية لجنود المشاة، والمستند على ضربات سلاح المدفعية، وليس وفق أسلوب الهجوم المفرط الجماعي والذي كلف الجيش الفرنسي خسائر فادحة، ثم القيام بعدها بشن هجمات صغيرة مباحته، تضرب مكامن قوة التجمعات، والتحصينات الألمانية، وبالتالي تمكن الجيش الفرنسي من استعادة كل المناطق التي خسرها، لاسيما في الأجزاء الشمالية، والشمالية الشرقية من فرنسا فما فيها حصن دومون الاستراتيجي في فردان، لأنه عُدّ أكبر التحصينات الدفاعية الفرنسية في معركة فردان، وإن تلك الخطة تضمنت تقليل الخسائر البشرية بصفوف قوات المشاة، لا بل عملت على رفع معنويات الجنود الفرنسيين في مواصلة القتال، والحرب ضد قوات الجيش الألماني في عموم الجبهة الغربية (Teague, 2015, P.20).

على وفق تلك التطورات العسكرية في الجبهة الغربية بشكل عام، وجبهة فردان بشكل خاص، استؤنفت الهجوم الفرنسي من جديد في فردان، وفق تكتيكات الجنرال هنري بيتان، لاسيما بعد أن طلب الأخير من القائد العام الجيش الفرنسي روبرت نيفيل، بضرورة استئناف الهجوم الفرنسي في شهر تشرين الأول/أكتوبر، لمهاجمة حصن دومون الاستراتيجي، وإرجاع السيطرة الفرنسية عليه، والذي يعني عملياً القضاء على جيب احتفظت به القوات الألمانية في فردان، وبالفعل تمكنت القوات الفرنسية من الاستيلاء على ذلك الحصن، والذي عُدّ آخر نقطة في فردان فصلت القوات الفرنسية عن القوات الألمانية، فضلاً عن معظم المناطق التي خسرها الجيش الفرنسي في فردان في 20 كانون الأول/ديسمبر 1916، عندها أضحت معركة فردان، إحدى أطول، وأعنف معارك الحرب العالمية الأولى (Blond, 1966, P.103)، وبذلك انتهت معركة فردان التي قادها الجنرال هنري بيتان، والتي استمرت (10 أشهر)، وعلى الرغم من أن تلك المعركة، لم تغير شيء على مسار معارك الجبهة الغربية (الفرنسية)، إلا أنها أثبتت قوة، وعزيمة الجيش الفرنسي في الدفاع عن مدينة فردان من السقوط بأيدي القوات الألمانية، وهو ما حرم الجيش الألماني من فرصة اختراق التحصينات الفرنسية والمضي قدماً نحو محاصرة العاصمة باريس من جهة، وأظهرت بسالة القيادة، والتخطيط العسكري للجنرال هنري بيتان، وسرعت من بزوغ نجمه العسكري، لدى الجنود والضباط الفرنسيين على حد سواء من جهة أخرى، على الرغم من الخسائر الكبيرة التي لحقت بالجيش الفرنسي، ونظيره الجيش الألماني، إذ تسببت معركة فردان بخسارة الجيش الفرنسي قرابة (60 ألف جندي)، ومثلهم تقريباً من الجنود الألمان، ودل حجم الأعداد الكبيرة للقتلى، بالنسبة لجيوش الطرفين المتحاربين، ضيق الرقعة الجغرافية لمعركة فردان، والتي بلغ عمقها (10 كم)، وعرضها (30 كم)، بمشاركة (70 فرقة فرنسية)، و(50 فرقة ألمانية)، عندها أصبحت فردان منطقة قتل رهيب، لقوات الطرفين، والذين سقط معظمهم، بسبب عمليات القصف المدفعي الثقيل المتبادل، عندها عُدت معركة فردان، واحدة من أبرز، وأشهر معارك الحرب العالمية الأولى قاطبة على الجبهة الغربية (الفرنسية) (العسلي، 1983، ص104)، وأخيراً عُدت معركة فردان أطول معارك الحرب في الجبهة الغربية (الفرنسية)، إذ أنها استهلكت الجزء الأكبر من عام 1916، وكلفت بوقوع خسائر بشرية فادحة، لاسيما بعد السقوط أكثر من (500 ألف جندي) فرنسي وألماني بين قتيل، وجريح (Ryan, 1969, P.72).

الخاتمة

1. غَدَّت معركة فردان واحدة من بين أعنف المعارك وأكثرها دموية التي شهدتها الجبهة الغربية في فرنسا بشكل خاص، والحرب العالمية الأولى بشكل عام، نظراً لحجم المواجهات العسكرية العنيفة التي شهدتها، وجسدت حجم الصراع العسكري المستميت بين فرنسا وألمانيا طيلة مدة الحرب من جهة، ولتمثيلها اختباراً حقيقياً من جانب القيادة العسكرية العامة الألمانية، لقدرة القيادة العسكرية العامة الفرنسية على مدى صمودها، وحكمتها بالتخطيط في مواجهة سلسلة الهجمات الألمانية على فردان، والتي مثلت الحصن الدفاع الحصين عن العاصمة باريس.
2. شكل دور الجنرال هنري بيتان في معركة فردان محطة بارزة في التاريخ العسكري الفرنسي إبان الحرب العالمية الأولى، وذلك لما أظهره من قدرة على تنظيم خطط الدفاع، وإدارة الإمدادات العسكرية وإدامتها، والمحافظة على تماسك القوات الفرنسية المدافعة بالصد من الهجوم الألماني الشديد.
3. أسهمت جهود الجنرال هنري بيتان وخطته وإجراءاته العسكرية التي طبقها في معركة فردان في رفع الروح المعنوية للجنود الفرنسيين، وفي تعزيز دفاعات الجيش الفرنسي، وصموده خلال مرحلة حرجية من المعركة، قلب عن طريقها موازين القوى لصالح القوات الفرنسية.
4. أصبحت معركة فردان بفضل حكمة الجنرال هنري بيتان ممثلة بخطته وجهوده العسكرية التي بذلها رمزاً للمقاومة والتضحية في الذاكرة العسكرية الفرنسية بشكل عام، وللجنرال هنري بيتان بشكل خاص الذي استحق عن جدارة لقب بطل فردان.

التوصيات

1. يُوصى البحث بدراسة أساليب القيادة العسكرية التي اتبعتها الجنرال هنري بيتان بشكل مفصل خلال معركة فردان، والمعارك التي شارك بها في الحرب العالمية الأولى، ولاسيما في مسائل وضع الخطط، وتنظيم القوات، وتنسيق عمليات الدفاع، للاستفادة من تجربته في فهم أهمية القيادة، والتخطيط العسكري في المعارك الكبرى.
2. يُوصى البحث بإبراز دور الجنرال هنري بيتان في مسائل تنظيم خطوط الإمداد، ونقل الأسلحة والذخائر، والجنود إلى جبهات فردان، نظراً لما أظهرته المعركة من أهمية في عمليات استمرار الاتصالات والتموين التي أدت في تزايد حالة الصمود الدفاعي للقوات الفرنسية أمام الهجمات الألمانية المتكررة.
3. يُوصى البحث بإجراء دراسات تاريخية معمقة حول دور كل الشخصيات العسكرية الفرنسية، والألمانية التي ساهمت في معركة فردان.

قائمة المصادر

أولاً: المصادر العربية:

- بالمر. آلان، (1992). موسوعة التاريخ الحديث (1789-1945). ج2. ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين. دار الحرية للطباعة. بغداد، العراق.
- بركات. محمد، (2007). الحرب العالمية الأولى: قصة الأطماع ومأساة الصراع. دار الكتاب العربي، دمشق. سوريا.
- العسلي. بسام. (1983). المارشال فرديناند فوش 1851 - 1929: مشاهير قادة العالم. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. القاهرة. مصر.
- معدى. الحسيني الحسيني. (2011). موسوعة الحرب العالمية الأولى والثانية. دار الحرم للتراث، القاهرة. مصر.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

- B. Bruce. Robert. (2008). Petain: Verdun To Vichy. Potomac Books Press. London.
- Blond . Georges, (1966). Pétain 1856 – 1951. Presses De La Cite. Paris.
- Blonde. George, (1961). Verdun, Translated by: Frances Frennaya. Macmillan Company. New York.

Ferro. Marc. (1987). Pétain, Arthem Viand Press. Paris.

Pétain. Marshal. (1930) .Verdun. Translated by: Margaret McVeigh. Ground Zero Books. London.

Ryan. Stephen.(1969). Petain The Soldier. Thomas Rozelov Limited. London.

Teague. Paul. (2015). “General Staff Command of Field Marshal Philip Pétain”, Journal of the American Military University. Vol. 2. No. 23. Washington.

World War I Documents. (March 4, 1916). Report of the French General Staff and Commander-in-Chief of the French Armies on The Western Front General Joseph Joffre on Germany's objectives in Directing its War Against The City of Verdun and its Military and Political Risks to the Capital, Paris.